

أضواء البيان

@ 316 @ المعنى بين قولك : لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجوداً . وبين قولك : لو لم يخف الله لم يعصه ، مع أن الشرط سبب في الجزاء في الأول ، لأنها شرطية لزومية ، ولا ربط بينهما في الثاني لأنها شرطية اتفاقية . ولا شك أن من أراد أن يجمع بين المفترتين ارتبك ، والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه غفور ، أي كثير المغفرة ، وأنه ذو الرحمة يرحم عباده المؤمنين يوم القيامة ، ويرحم الخلائق في الدنيا . . .

وبين في مواضع آخر : أن هذه المغفرة شاملة لجميع الذنوب بمشيئته جل وعلا إلا الشرك . كقوله : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } ، وقوله : { إِنَّ اللَّهَ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } . . .

وبين في موضع آخر : أن رحمته واسعة ، وأنه سيكتبها للمتقين . وهو قوله : { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَاسْتَأْذِنُوا لِيَظْلِلَ الَّذِينَ يَتَّبِقُونَ وَيُؤْتُوا تُونَ الزَّكَاةَ } . . .

وبين في مواضع آخر سعة مغفرته ورحمته : كقوله : { إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ } . . .

وبين في مواضع آخر أنه مع سعة رحمته ومغفرته شديد العقاب . كقوله : { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ } . . .

وقوله : { غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ } ، وقوله تعالى : { نَبِيٍّ ذِي بَيِّنَاتٍ نَّزَّلَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } ، إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { وَلَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ أَوْ لَعَجَلُوا لَعَجَلْتُمْ لَهُمُ الْعَذَابَ } . بين في هذه الآية الكريمة : أنه لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب كالكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب لشناعة ما يرتكبونه ، ولكنه حليم لا يعجل بالعقوبة . فهو يمهل ولا يهمل . . .

وأوضح هذا المعنى في مواضع آخر . كقوله : { وَلَوْ يُؤَاخِذُكُمُ النَّاسُ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكُوا عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ } ، وقوله : { وَلَوْ يُؤَاخِذُكُمُ النَّاسُ بِمَا كَسَبْتُمْ أَوْ لَعَجَلُوا لَعَجَلْتُمْ لَهُمُ الْعَذَابَ } . وقد

قدمنا هذا في سورة (النحل) مستوفى . قوله تعالى : { بَلْ لَّهُمْ مَّوْعِدٌ لَّسَنَ
يَجِدُواْ مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أنه وإن لم يعجل
لهم العذاب في الحال فليس غافلاً عنهم ولا تاركاً